خطبة صلاة الجمعة 22/7/2022 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(وَقفَات مع سور الطلاق)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى في مطلع سورة الطلاق: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: 1].

عنوان خطبة اليوم: **وَقفَات مع سور الطلاق**

أيها الإخوة:

سورة الطلاق سورة مدنية جاءت في ثنتي عشْرة آية تكلمت في أحكام الطلاق والعدة والنفقة، وأحبُّ أنْ أسلط الضوء على خمسة مواقف يسمح بها الوقت في هذه السورة.

الوقفة الأولى: اسم السورة وافتتاحيتها يدلان على خطورة أمر الطلاق وجلله.

الوقفة الثانية: وجود السورة في القرآن يؤكد على أن الزواج عقد شرعي وانفصامه حكم شرعي.

الوقفة الثالثة: تكرار التذكير بالتقوى فيها خمس مرات مدعاةٌ ليأتمر المطلِّق والمطلَّقة بأمر الله في عسرهما كما ائتمرا بها في يسرهما.

الوقفة الرابعة: خلاصة الأحكام الواردة في السورة.

الوقفة الخامسة: خواتيم السورة تنبي على أن من لم يلتزم أوامر الله سيذوق وبال أمره عذاباً وخسرانا.

وإليكم البيان.

أولاً: اسم السورة وافتتاحيتها يدلان على خطورة أمر الطلاق وجلله:

إنك عندما تجد سورة كاملة في القرآن الكريم معنونةً باسم الطلاق فإن ذلك بنبيك بعظمة الأمر وخطورته، وجلالته وأهميته.

نعم؛ لأن الطلاق أبغض الحلال إلى الله تعالى، ولأن الطلاق فصم للميثاق الغليظ بين الزوجين، ولأن الطلاق تشريع استثنائي لحل مشكلة لا تحل إلا به، ولأن الأصل في الناس أنهم يتزوجون فلا يطلقون.

وإذا أضفتَ إلى ذلك افتتاحيةَ السورة بقوله تعالى: (يا أيها النبي) وتذكرت أنه عندما يكون الأمر جللا يخاطَبُ به أعلى القوم علمت خطورة أمر الطلاق وأهميته.

ولكن هذه الخطورة تتلاشى عندما يُطِلّقُ شاب من دون مبرر مقبول زوجته بعد أسابيع من الزواج!

ولكن هذا الاهتمام القرآني يتضاءل في نفس المسلمة عندما تطلب من زوجها طلاقاً من دون مسوغ مشروع بعد أشهر من الزواج!

ولكن هذا العناية القرآنية بشأن الطلاق تتصاغر في نفس المسلم عندما يحلف بالطلاق على زوجته أن تفعل كذا أو لا تفعل كذا!

ولكن هذه التوجيه القرآني ينساه المسلم عندما يطلق زوجته ثلاثاً أو أكثر في جلسة واحدة!

قال مجاهد: (كنت عند ابن عباس رضي الله عنه فجاءه رجل، فقال: إنه طلق امرأته ثلاثاً، قال: فسكت، ثم قال: ينطلق أحدكم فيركب الحَموقة، ثم يقول: يا ابن عباس، يا ابن عباس، فإن الله عز وجل قال: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ [الطلاق: 2] فما أجد لك مخرجاً، عصيت ربك، وبانت منك امرأتك) (أخرجه أبو داود).

وأخرج الإمام مالك في الموطأ: أن رجلاً قال لعبد الله بن عباس: «إني طَلَّقتُ امرأتي مائة تطليقة، فماذا ترى عليَّ؟ فقال ابن عباس: طَلُقَتْ منك بثلاث، وسَبْع وتسعون اتَّخَذْتَ بها آياتِ الله هُزُواً».

فاسم سورة الطلاق وافتتاحيتها يدلان على خطورة أمر الطلاق وجلله، ولا ينبغي للمسلم أو المسلمة أن يتهاونا به ويجعلاه أقرب الحلول لمشكلاتهم الزوجية. وهذه هي الوقفة الأولى.

الوقفة الثانية: وجود السورة في القرآن يؤكد على أن الزواج عقد شرعي وانفصامه حكم شرعي:

فالزواج عقد شرعي لا مدني، بمعنى أن الشريعة الغراء قنَّنت أركانه وشروطه وآدابه وتبعاته وما يحل فيه وما يحرم، فجاء موافقاً للفطرة حافظاً للأسرة داعماً لبناء المجتمع السليم، ونحن نرى معاناةَ الغرب من عندما جعل الزواج عقداً مدنياً وخرج عن تعاليم الدين فيه كيف عانى من العلاقات الآثمة والمساكنات الهابطة، وآخر ما وصل إليه الشذوذُ القذر!

ففي كون الزواج عقداً شرعياً رفعةٌ للمؤمن أيما رفعة، إذ تولى الله تعالى بيان أحكام زواجه وطلاقه، بما يحقق مصلحة الفرد والأسرة والمجتمع.

فالزواج عقد شرعي وانفصامه حكم شرعي، ولكن الأسى يعتصر القلب عندما تجد المسلم يطلق من دون معرفة بأحكام الطلاق الشرعية، ويتزوج ولم يتعلم أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية، وقد أجمع العلماء على فرضية تعلم المسلم أحكام الشريعة في كل عمل يريد القيام به.

إذ كيف يكون مطيعاً لأمر الله من لا يعرف أمر الله، وكيف يستجيب لنهي الله من لا يعرف نهي الله.

إن وجود سورة في القرآن باسم سورة الطلاق يؤكد على أن الزواج عقد شرعي وانفصامه حكم شرعي، وهذا يرتب على كل مسلم ومسلمة يريدان زواجاً أو طلاقاً أن يتعلما أحكامهما ليوافقا الشرع ويرضيا رب العالمين.

اتصل رجل مرة ليسأل عن طريق مراجعة زوجته المطلقة، فلما سئل هل هذه هي المرة الأولى التي يطلقها بها أو غير ذلك أجاب بأنه لا يدري لعله طلق قبل هذا سبع مرات أو ثمان مرات أو أكثر أو أقل!

إن هذا المسلم – للأسف- لا يعلم أحكام الزواج والطلاق ولا يدري أنه يملك مع زوجته ثلاث تطليقات وأنها بعد ذلك تحرم عليه حتى تنكح زوجاً غيره، فوقع لذلك في الحرام والكبائر من حيث لا يدري وإن الله لا يعذر على الجهل.

إن وجود سورة في القرآن باسم سورة الطلاق يؤكد على أن الزواج عقد شرعي وانفصامه حكم شرعي، وهذا يرتب على كل مسلم ومسلمة يريدان زواجاً أو طلاقاً أن يتعلما أحكامهما ليوافقا الشرع ويرضيا رب العالمين.

الوقفة الثالثة: تكرار التذكير بالتقوى في السورة خمس مرات مدعاة ليأتمر المطلق والمطلقة بأمر الله في عسرهما كما ائتمرا بها في يسرهما:

ففي سورة الطلاق ذات الثنتي عشرة آية يرد الحديث عن تقوى الله تعالى خمس مرات، تقوى الله بمعنى أن يلزم المطلِّق وأهلُه أمر الله فلا يتجاوزوه، وأن تلتزم المطلَّقة وأهلُها أمر الله فلا يتجاوزوه، هذا إن أرادوا أن يجعلَ الله لهم مخرجاً وأن يجعل لهم بعد عسر يسراً وإن أرادوا ثواب الله في الدارين.

في الآية الأولى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: 1].

وفي الآية الثانية والثالثة: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 2-3].

وفي الآية الرابعة: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4].

وفي الآية الخامسة: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: 5].

وفي الآية العاشرة: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق: 10].

إننا بحاجة أن ننضبط بتقوى الله أيها الإخوة في عسرنا كما ننضبط بها في يسرنا، وبحاجة إلى الانضباط بالتقوى في حزننا كما ننضبط بها في سرورنا، وبحاجة للتقوى عند الطلاق كحاجتنا لها عند الزواج.

عقد شاب على فتاة عقد شيخ، ثم أراد أن يطلقها قبل الدخول، وعلم أنه يترتب عليه نصف المهر، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: 237] لكن والدته لم ترضَ منه أن يدفع للفتاة ذلك النصف متعللةً بأنه يتعب في كسب قرشه وأنه لم يسجل العقد في المحكمة!

لقد نسيت هذه الأم تقوى الله عند الطلاق، ولعلها تتذكر التقوى عند الصلاة وعند الصيام.

انزعج أب من زوج ابنته فحبس ابنته عنده وأمرها أن تطلب طلاقاً من زوجها وقال للزوج لا زوجة لك عندي!

لقد نسي هذا الأب تقوى الله في الطلاق ونسي قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**ليس منا من خبب امرأة على زوجها**» [أبو داود].

وسورة الطلاق تدعونا إلى التزام أوامر الله ونواهيه في الطلاق كما نلتزمها في الزواج وتكرر علينا ذكر التقوى خمس مرات.

الوقفة الرابعة: خلاصة الأحكام الواردة في السورة:

1- الطلاق الموافق للشرع ما كان في طهر لم يجامعها فيه لقوله تعالى: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: 1].

2- يجب على المطلقة العدة وهي فترة تتربص بها لا تتزوج، لقوله تعالى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ [الطلاق: 1].

3- على المطلقة السكنى في بيت زوجها فلا يجوز لها الخروج ولا يجوز له إخراجها إلى أن تنتهي عدتها إلا لضرورة ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ [الطلاق: 1].

4- للمطلق أن يراجع زوجته الرجعية مادامت في العدة، وله ألا يفعل فتبينَ منه لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: 2].

5- يسن الإشهاد على الطلاق وعلى الرجعة لقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [الطلاق: 2].

6- عدة المطلقة الحامل حتى تضع الحمل، وعدة غير الحامل ثلاث دورات شهرية، وعدة الصغيرة والآيسة ثلاثة أشهر لقوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 4].

7- يجب للمطلقة الحامل وللمطلقة الرجعية السكنى والنفقة بالمعروف وبحسب قدرة الزوج، وإذا أرضعت المطلقة طفلها جاز لها طلب أجرة الرضاع ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ

بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى (٦) لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 6-7].

الوقفة الخامسة: خواتيم السورة تنبي على أن من لم يلتزم أوامر الله سيذوق وبال أمره عذاباً وخسراناً:

قال تعالى بعد أن ذكر أحكام الطلاق في السورة ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق: 8-10].

فيه تصريح بأن من عتى عن أمر ربه وتجاوز واستكبر، سواء في مسائل الطلاق أو غيرها فسيحاسبُ حساباً شديداً ويعذبُ عذاباً نكرا وتكونُ عاقبة أمره خسراً، سواء في ذلك الرجل والمرأة والفرد والجماعة. فاتقوا الله يا أولي الألباب في زواجكم وطلاقكم، ولقائكم وفراقكم فإن ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: 11].

أيها الإخوة:

هذه خمس وقفات في سورة الطلاق أرجو من الله أن تكون نافعة لكل منا أفراداً ومجتمعاً ليحسن الله لنا رزقاً.

الوقفة الأولى: اسم السورة وافتتاحيتها يدلان على خطورة أمر الطلاق وجلله.

الوقفة الثانية: وجود السورة في القرآن يؤكد على أن الزواج عقد شرعي وانفصامه حكم شرعي.

الوقفة الثالثة: تكرار التذكير بالتقوى فيها خمس مرات ليأتمر المطلق والمطلقة بأمر الله في عسرهما كما ائتمرا بها في يسرهما.

الوقفة الرابعة: خلاصة الأحكام الواردة في السورة.

الوقفة الخامسة: خواتيم السورة تنبي على أن من لم يلتزم أوامر الله سيذوق وبال أمره عذاباً وخسراناً.

والحمد لله رب العالمين